# كيف ينهض المسلمون

إن من يحاول أن يكتب فى هذا الموضوع ، وأن يلم به من جميع نواحيه لا بد أن يضع نصب عينيه دائماً حقيقتين ثابتتين ، لاسبيل إلى التغاضى عنهما بحال من الأحوال أولاهما . أن العالم الانسانى أصبح الآن متصلا بعضه ببعض اتصالا وثيقاً يتأثر كل عضو فيه بما يتأثر به غيره من عوامل الخير والشر ، ومن عوامل الرخاء والضيق ، وأنه لاسبيل إلى أن تعيش أمة الآن فى عزلة عن العالم إلا إذا أرادت لنفسها الفناء والانقراض . ثانيهما : أن الأفكار والآراء وكل وسائل المعرفة الإنسانية أصبحت الآن سهلة ميسرة . واضحت من السرعة والقوة فى الانتشار بما يستطيع بها أى فرد فى أى بقعة من العالم له استعداد فى الفهم والإدراك أن يأخذ بنصيبه منها فى الوقت الذى يتمتع فيه مواطنها بها ، فسرعة المواصلات من جهة . ووجود اللاسلكى من جهة أخرى ثم تقدم الصحافة . واختراع السينما كل ذلك قد ربط العالم بعضه ببعض حتى أصبح هذا الرباط الآن من القوة والشدة بحيث لاتستغنى عنه دولة من الدول كائناً من كانت ، ولا ينصب هذا الاستغناء على الأمور الاقتصادية وحدها ، وإنما على كل المسائل الثقافية ، وما تحمله من أفكار وآراء ونظريات .. ! والذى يعنينا من كل هذه المقدمة أننا عندما ننظر الآن إلى أية أمة من الأمم الاسلامية أو غيرها من الأمم الشرقية التى لاتدين بالاسلام . نجد أنها تصطنع حياتها على نمط الحياة الغربية بأسلوب يختلف قوة وضعفاً حسب استعدادها ، وهضمها لهذه الحياة . فما هى الدوافع الحقيقية التى تدفع الشرق إلى ذلك سواء أراده أم لم يرده . ! أهى القوة ؟ أم هى السياسة الاستعمارية الغاشمة التى تتحكم فى مصير الشعوب وشئونها الداخلية والخارجية . نعتقد أنه لاهذا ولا ذاك لأن

التاريخ لم يحدثنا أن قوة من القوى مهما بلغت فى شدتها وقسوتها قد قضت على كيان شعب من الشعوب فيما يتخلق به من مثل عليا . ومن مبادى رفيعة تتفق وطبيعة التطور التاريخى للانسان . بل كان ما يحدث هو العكس ، فروما المسيحيه فى قوتها وعظمتها ، ونهوضها قبل أن تحل عليها عصور الجهالة والظلمة قد أخذت عن اليونان تراثهم الفكرى فتأثرت به ، وأثرت فيه ، والمسلمون وهم مازلوا بعد فى قوتهم ، وعظمتهم وسيطرتهم على قيادة العالم هضموا تراث الفكر اليونانى والثقافة الاغريقية ، وحافظوا عليها وديعة أمينة فى أيديهم . كذلك لم يحدثنا التاريخ أن الاستعمار مهما كانت سـلطوته ووحشيته ، واستبداده بالشعوب والأمم التى ابتليت به استطاع أن يكيف لها حياتها رغما عنها ، وأن يغير عقائدها ونظرتها للأمور والأشياء دون أن يكون لأبناء هذه الشعوب والأمم إرادة فى ذلك ، وارتياح له وسكون إليه ، وكان عالما يتفق وطبيعة التطور والرقى فى الإنسان والكائنات . نعتقد أن ذلك لم يوجد بعد ، ولن يوجد أبداً .

إذاً ماهى البواعث الحقيقية التى حملت الشرق بما فيه من مسلمين وغير مسلمين على أن يترسموا خطى الغرب . ويتأثروا حسب حظهم من ذلك بحضارته وأساليبه فى الحياة . ؟ تقتضينا الإجابة على هذا السؤال أن نثير هنا مسألة أخرى وهى على أى شىء اكتسب الغرب هذه الحضارة وبأية سبيل نهض كل هذا النهوض ، وتقدم كل ذلك التقدم ؟ هل لتعاليم دينه المسيحى شأن فى ذلك ؟ هل لانه يمتاز على غيره من أبناء الجنس البشرى بقوة الادراك ونضوج العقل ؟ نجيب بملء فمنا لاهذا ولا ذاك . !

فالشىء المتفق عليه أن هذه الحضارة الغربية استمدت عناصر حياتها وقوتها من التراث اليونانى الوثنى ، ومن الثقافة الرومانية القديمة الخالية من كل معنى روحى . فالعقل الأوربى فى تحرره وانطلاقه . انتصر بعد كفاح مرير

وصراع شديد بينه وبين الكنيسة . وعندما قدر له النصر جحد بالكنيسة ، وبكل تعاليمها ، وأصبح بينه وبينها شبه عداء تقليدى . حتى وجدنا الكنيسة نفسها تعترف بهزيمتها وتقف مبهورة أمام ما انتجه العقل الأوربى بعد أن حطم كل ماوضعته أمامه من قيود وبعد أن تحلل مما كانت تقدمه له من خرافات وأباطيل تحيطها بهالة كبيرة من التقديس لتوحى له بكل مافيه احتقار للنشاط الدنيوى وكفران بالحياة ، وجحود بالطبيعة .

ثم أنه ليس هناك مايثبت أن العقل الأوربى فى ذاته مجرداً من كل شىء يمتاز على غيره بشىء من الذكاء أو الادراك فالحضارات التى تداولتها الإنسانية وتأثرت بها حملها الشرق إلى الغرب أولا ، وكان له الفضل الأول فى تمهيد الطريق لقافلة الانسانية لتبلغ غايتها من التطور والرقى .

إذاً فعناصر هذه الحضارة الغربية استمدت من العقل ذاته فى حريته . وفى انطلاقه فى مجراه الطبيعى دون قيود أوسدود تحد من مضائه ، وتقف حجر عثرة فى طريقه . ! فالظاهرة التى يمكن أن يلمسها الدارس للحضارة الأوربية هى الخصومة الشديدة لكل من يحقر العقل أو يكفر بهذه الحياة الدنيا . وبالتالى هى السعى ما أمكن للانتفاع بكل ظاهرة من ظواهر الطبيعية واستخدامها لأغراض الانسان فى معيشته . وطرق حياته . ! لقد كان العقل الأوربى فى أول ثورته ونهوضه كافرا بالكنيسة . مسرفا فى خصومتها وفى كل مايمت لها من قريب أو بعيد ولكنه بعد أن أثبت وجوده ، واطمأن على كيانه أصبح يؤمن بالدين . ولكن للآخرة وحدها . دون أن يجعله يتحكم فى حياته ، ويرسم له مجريات أموره .

وهكذا نجد العقل الأوربى الآن حتى وهو فى اعتداله هذا نحو الدين لا يؤمن إلا بالقوى المادية فى الانسان . ولا يتخلق إلا بالأخلاق الصناعية ، وما تحققه له من تسخير لقوى الطبيعة . وتغلب على صعاب الحياة ، ولكننا بينما نجده

قد برع فى ذلك ، وزها بهذه الحضارة ، وبما بلغه من هذا التقدم المادى والصناعى . تجده من ناحية أخرى قد تغاضى عما للنفس الإنسانية من مثل عليا ليست من الأخلاق المادية أو الصناعية فى شىء .

أن النفس الأوربية قد اكتسبت من وراء هذه الحضارة شيئا ، ولكنها بجانب ذلك فقدت شيئا آخر لا يقل عما اكتسبته روعة ، وقوة ، وضرورة للإنسان

لقد اعتزت الحضارة الغربية بما بلغته من تقدم فى الثقافة ، ومن تحقيق للنضوج العقلى الذى حقق لها بدوره . هذه القوة الصناعية الضخمة . وهذا الانتاج الوفير العظيم فى كل شىء ، والذى غزت به العالم الشرقى . وكانت إلى عهد قريب جداً تتحكم فى مصيره . . ! و لكنها من ناحية أخرى فقدت ما تحرص عليه كل مدنية فاضلة من صفات واعتبارات وقوانين خلقية تهذب النفس البشرية وتسيطر على القوى الغريزية فى الانسان . حتى لايجمح . ولا يتنكب سواء السبيل .. والذى نلاحظه الآن على الرجل الغربى أنه بقدر ما أصبح غنيا قوياً قادراً فى مظهره الخارجى . وفى قواه الآلية العاملة . فإنه أصبح مريضاً مفلساً فقيراً إلى تربية نفسه الداخلية ..! فنظام الأسرة قد أصبح مفككا لا تربطه إلا خيوط واهية ، وأعصاب الانسان قد اصبحت ضعيفة تالفة من هذه الحياة الآلية التى يحياها رجل الغرب . وبما يتراكم عليه من انفعالات ومؤثرات لاتجد أمامها شيئا من المقاومة ، والوقاية للانسان لتلاشى الانبعاثات الروحانية فى نفسه . ولقد كان من أثر طغيان هذه الحياة المادية على جميع احساساته ومشاعره . أن ضحى بكل القيم والآداب التى كانت ضابطة للنفس البشرية فى نزواتها ، وجامحة لها شهواتها ، ومنقذة لها من انحطاطها ، وكان من أثر ذلك أن أصبح عنده من الأثرة والأنانية مالا يتفق وصفات الانسان المهذب كما يعرفه علماء الاجتماع . ثم كان من أثر ذلك أيضا أن فقد هدوء النفس

وأصبح يعيش فى دائرة مفرغة من القلق والاضطراب

يقول الأستاذ ليوبولدفايس(١)فى كتابه ( الاسلام على مفترق الطرق ) الذى نقله الدكتور عمر فروخ إلى العربية من فصل بعنوان « روح الغرب » ( إن الفضائل الخلقية القديمة التى يؤيدها الدين أخذت تخلى مكانها بالتدريج للفضائل الغربية الجديدة التى تدعو إلى حرية فردية للجسد البشرى غير مقيدة أما ضبط النفس : ومراقبة الصلات الجنسية فإنهما تفقدان من أهميتهما بسرعة وإن الصلات الوحيدة الممكنة فى المستقبل ستكون مستمدة — فى أحسن الأحوال — من اعتبارات فى درس الجماعات الانسانية والتناسل

وليس من غير المفيد أن نلاحظ أن كلا هذين التبديلين — ذلك الذى يرجع إلى صلات الأولاد بالوالدين وذلك الذى يرجع إلى الصلات بين الجنسين — قد سير بهما إلى نهايتهما المنتظرة فى الروسية السوفياتيه التى لاتمثل من الناحية الثقافية تطوراً مختلفا فى أساسه عما فى سائر العالم الغربى . بل على العكس من ذلك ، يبدو لنا أن هذه التجربة الشيوعية ليست شيئا آخر سوى التناهى . وسوء البدء لتحقيق تلك الميول فى المدنية الغربية الحديثة ، تلك التى هى بلا شك لا دينية ، والتى هى فى هدفها الأقصى لادينية أيضاً . ويمكن أن يكون ذلك العداء الحار بين الغرب الرأسمالى . وبين البلشفية ، فى أساسها راجعا فقط الى اختلاف الخطى بين تينك الحركتين المتوازيتين فى جوهرهما وفى انطلاقهما نحو هدفهما الأقصى . وإن تشابههما الباطنى سيصبح بلا شك أبرز فأبرز فى المستقبل ، ولكن منذ الآن يظهر أن الميـــل الأساسى فى

---

(١) المؤلف نمسوى الأصل اعتنق الاسلام وتسمى باسم محمد أسعد . وقد ترك بلاده النمسا عام ١٩٢٢ ليتجول فى أفريقية وآسيا باعتباره مراسلا لبعض أمهات الصحف الأوربية وكان من أثر احتكاكه بالمسلمين أن نشأ فى نفسه ميل إلى دراسة التعاليم الاسلامية . وتناقش مع كثير من المعلمين الاسلاميين . وكان أن ملكت روعة الاسلام وقوته عليه احساساته ومشاعره حتى أنه لما عاد إلى بلاده عام ١٩٢٦ اعتنق الاسلام دينا له

الرأسمالية الغربية ، وفى البلشفية كليهما إنما هو التخلى عن شخصية الانسان الروحية ، وفضائله الخلقية للمقتضيات المادية . . . ثم يستطرد فيقول . . . إن مدنية من هذا النوع إنما هى سم زعاف لكل ثقافة مبنية على القيم الدينية . وسؤالنا الصحيح عما إذا كان من الممكن أن نكيف أسلوب التفكير والحياة فى الاسلام حسب مقتضيات المدنية الغربية . يجب أن يجاب عليه بالنفى . إن أول أهداف الإسلام وأهمها إنما هو الرقى الداخلى . وهكذا تتغلب الاعتبارات الخلقية على اعتبارات الانتفاع الخالص . أما فى المدنية الغربية الحديثة فالأمر معكوس تماما . إن اعتبارات الانتفاع المادى تسود جميع مظاهر النشاط الإنسانى أما الاخلاق فتنفى إلى زاوية مظلمة من الحياة . ثم يحكم لها بوجود نظرى خالص من غير أن يكون لها قوة مؤثرة فى المجتمع ان الوجود نفسه فى مثل هذه الأحوال رياء ، وهكذا نجد أن المفكرين الأوربيين المعاصرين معذورون بالإضافة إلى أنفسهم ، إذا كانوا فى أثناء تكرار النظر إلى المصاير الاجتماعية فى المدنية الغربية يتحاشَوْنَ الإشارة إلى الأخلاق المطلقة . أما الذين هم أقل نبلا منهم - أى أولئك الذين هم أقل وضوحاً فى اتجاههم الخلقى - ففكرة الأخلاق المطلقة لاتزال باقية عندهم على أنها عنصر أصم فى التفكير ، أشبه بما يضطر الرياضى إلى العمل به من الأعداد الصم التى لاتمثل فى نفسها شيئاً محسوسا لكنها ( هذه العناصر ) على كل حال أشياء مرغوب فيها لسد أماكن الفراغ فى الخيال ، تلك الأماكن التى اقتضتها قيود البناء للعقل الانسانى .

إن مثل هذا الموقف المذبذب من الأخلاق لا يتفق بكل تأكيد مع الاتجاه الدينى ، ومن أجل ذلك كانت أسس المدنية الغربية الحديثة لا توافق الاسلام . على أن هذا يجب أن لا يحول أبداً دون إمكان أخذ المسلمين من الغرب ببعض البواعث فى ميدان العلوم المجردة . والعلوم التجريبية ، ولكن

صلاتهم الثقافية يجب أن تبدأ عند هذا الحد ، وتنتهى عنده أيضاً . أما أن يخطو المسلمون إلى أبعد من ذلك ، أو أن يقلدوا المدنية الغربية فى روحها ، وأسلوب حياتها ، وفى تنظيمها الاجتماعى فهو المستحيل ، إلا إذا سددت ضربة قاضية إلى الإسلام كدولة إلهية . وكدين عملى ) انتهى .

والمذهب الوجودى الذى أنشأه الفيلسوف الألمانى هيديجر فى العصر الحديث . والذى تأثر به شباب الغرب وخاصة فى فرنسا حيث يجد فى كل يوم أتباعاً وأنصاراً والذى يحمل لواءه الآن الفيلسوف الفرنسى المعاصر سارتر قائم على أساس من الاضطراب النفسانى، والفوضى الخلقية . وهذا من غير شك أثر من آثار التمرد المادى فى الانسان ، وانقياده كل فكرة روحانية فهذه الوجودية التى تمخض عنها الآن العقل الأوربى تدعو إلى أن الانسان فى هذه الحياة لا يشعر بوجوده الحقيقى إلا إذا تخلص من كل قواعد الأخلاق ، والتربية ، والعادات ، والعقائد ، وكفر بكل قانون علمى . أو أسلوب تاريخى لتفسير معنى الحياة . فالإنسان فى هذا الكون هو كل شىء . والصفات الخيرة والمثل العليا ، والتقاليد الحميدة . التى نادت بها الديانات ، وسجلها التاريخ الطبيعى للانسان هى قيود حقيرة تحد من حريته ، وقوته وسعادته ويمكن كما يقول ذلك ( ديديه أنزيو(١) ) « أن نعتبر شعار الوجودية . والكلمة المعرفة بها تلك الفكرة التى افتتح بها ( هيجل ) « دروسه فى فلسفة التاريخ » إذ يقول « إن الشرقيين لا يعرفون أن العقل حر . أو أن الانسان حر ، من حيث هو إنسان بل هم يعلمون أن واحداً هو الحر . وهذا هو حكم الاستبداد . أما اليونان فيعرفون أن بعض الناس أحرار ، لكن نظام الرق يستمر بينهم . والمسيحية

---

(١) فى فصل عن الوجودية نشر بمجلة الكاتب المصرى وترجمة إلى العربية الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريده .

تبين شيئا فشيئا أن الانسان ، من حيث هو إنسان حر ... » والناس لا يعرفون جميعا ذلك . والفيلسوف الوجودى يعلمهم أنه بحسب كلمة الشخصية من الشخصيات التى صورها دستويفسكى يمكن القول « إن كل شىء فهو جائز غير محرّم » .

ففكرة المجتمع الانسانى فى نظر الوجودية . وعلاقة الانسان الحديث المتحضر فى الغرب بأى فرد من أسرته أو بين جنسه هى كما عبر عنها سارتر بفكرة اللزوجة ( فكل وجود هو قبل كل شىء أشبه برائحة كريهة تبعث شعور الغثيان وعلى هذا فإن ما يشعر به الانسان حين يستخدم المترو : له من هذا الوجه أهمية ميتافيزيقية ، فأنا أحس وسط الزحام إحساساً واضحا بتلك اللزوجة التى هى خاصة أساسية للانسان ، على أن العلاقات التى تربطنى بالآخرين هى من هذا الطراز ، فلا تربطنى بهم صلة روحية . بل الأمر لا يعدو تلامسا يلتزق فيه وجود بوجود ) .

وعلى هذا فالانسان الوجودى يعيش فى هذه الحياة حسب ما توحى إليه غرائزه ، وحريته الفردية . دون أن يقيد نفسه بشىء . أو يخضع لشىء إلا أنه فوق الحياة جميعا . فلا خير عنده ولا شر . ولا حق ولا باطل . ولا فضيلة ولا رذيلة وليس هناك شىء فى الوجود يمكن أن يستدعى اكتراثه أو يقف حائلا أمام انطلاقه . وتمتعه بكل ما يقدر عليه ، وما يستطيعه من ملذات وشهوات . فالرجل المهذب المتمسك بآداب اللياقة وبحسن الأخلاق . والمحافظ على حصاناته . النافر من العلاقات الجنسية غير المشروعة هو رجل مراء قد خدع نفسه . أو ضعيف قد خضع للتقاليد والعادات وهى من العيوب البالغة فى نظر الوجودية . لأنه يجب على الانسان الوجودى ( أن لا يترك نفسه تقع فى حبائل وهم ما . علمى أو فنى ، أو سياسى ، أو خلقى . هى تريد أن تحيا بنفسها لا أن تترك فكرة ما غير شخصية . أو ضميراً جماعيا يحتل مكانها . ويعيش فيه . هى تسير على قاعدة تفرقة الانسان بين شخصه

أو « أنا » وبين الآخرين أو « هم » وليس الذى يجب أن يحيا فى كل منا هو ألـ « هم » أعنى الشىء الذى ليس حقيقتنا ، بل هو ألـ « أنا » إن الحياة الحقيقية (تنصرف عن النسليات وهى تعلم نفسها وجوداً محضاً ، هى شاعرة بنفسها ، ولا تترك حريتها المستمرة ) .

هذه هى الحضارة الأوربية وما تحمله من عناصر القوة فى مجالها الثقافى والاقتصادى والصناعى ، وما تحمله من عناصر الضعف فى محيطها الروحانى والنفسانى والخلقى. والاسلام لا بد له وهو فى طريق قوته ونهوضه من أن يهضم هذه الحضارة . ويحتضنها ويبلورها فى نفسه ، ومن أن يحافظ على شخصيته ، وذاتيته الخاصة بعد ذلك كله ليستطيع أن يؤاخى ، ويجمع بين هذه الحضارة وبين ما يتوفر له من روحانية واعية وآداب عالية لتهذيب نفسه البشرية. والسبيل إلى ذلك صريحة واضحة . وهى أن يتحلل أولا وقبل كل شىء مما أحاطته به التقاليد البالية ، والرجعية المميتة من أباطيل وترهات ، وأن يأخذ دينه من مصادره الأولى صافيا خالصاً مما نسب إليه من خرافات وأوهام .

لقد تحدثنا فى الفصل السابق عن العوامل التى أدت بالمسلمين إلى التأخر والتخلف عن ركب الانسانية فى طريقها إلى التقدم والرقى ، وعندما يمعن الكاتب نظره إلى ذلك ويرتب النتائج على المقدمات . يجد أن هناك شبها كبيراً بين بواعث تأخر المسلمين . وبواعث تأخر الأوربيين فى القرون الوسطى . فالحكم الأوتقراطى الذى جمع فى تشابهه . ونتائجه بين الاثنين هو شر ما ابتليت به الانسانية قديما وحديثا ، وعندما نسجل حوادث التاريخ نجد أن كل أمة أرادت أن تتحلل من هذا الطغيان الأوتقراطى سلكت طريقا واحداً هو الثورة . وكان الدين الذى يستند عليه الطغاة الأوتقراطيون فى حكمهم هو أول هدف تريد تحطيمه الثورة . لقد تحدثنا إليك فى المقدمة عن كل هذه الثورات . فارجع اليها تجد أن التشابه واضح بين فى مقدماته . ونتائجه . غير أننا نريد

أن نقول الآن إن هذا العنصر الأوتقراطي بمساوئه ومآسيه قد مضى ولن يعود أبداً . ذلك أن أغلب الأمم الاسلامية تحكم الآن حكما دستوريا على مبادىء ديمقراطية . وإن كنا نرجو أن تراعى الحكومات الاسلامية أن الديمقراطية الحضارية ليست هى النظام السياسى وحده أو تحقيق مظاهره لاغير ، وإنما هى أيضاً وقبل كل شيء الديمقراطية الاقتصادية ، والديمقراطية الاجتماعية .

والذى نحب أن نقوله هنا أن المسلمين أو بعضاً منهم يتمسكون بالوسائل الأولى التى كان يصطنعها الإسلام ليحقق من أجلها غاياته . وهذا إذا صدق على دين آخر . فلن يصدق على الإسلام لأنه غنى بما فيه من مرونة تتفق وطبيعة التطور فى الحياة ولقد تحدثنا نحن عن ذلك بما فيه الكفاية فى فصل ( الاسلام كتشريع للبشر) بيد أننا نريد أن ننبه هنا مرة أخرى بأنه إذا قدر للاسلام أن يحتل مكانته الماضية ، وأن يكون ذا أثر فعال فى التوجيه العالمى ، وأغلب الظن أنه سيقدر على ذلك مستقبلا . إذا استطاع أن يقضى على كل ماتراكم عليه من خرافات وأباطيل ، ودعاوى تدعوه إلى الرجعية والجمود ، ثم إذا استطاع أن يستوعب كل ما أفاده الغرب من ثقافة . وأن يخطو خطوات واسعة دون تعب أو ملل ليبلغ مابلغه من أشواط فى النضوج العقلى . والتقدم الصناعى . ولن يتأتى له ذلك إلا إذا فتح باب الاجتهاد الذى دعا إليه وعمل به من قديم .

أن الإسلام فى عصره الأول أقام بناء دولته على أسس دينية محضة لأنه كان بمثابة ثورة يقظة تريد أن تقضى فى سرعة وقوة على عوامل الانحلال الخلق والغشاوة المظلمة التى كانت تسود الجنس البشرى فى ذلك الحين . ولكنه مع ذلك ، وحسب وعيه لحقيقة الحياة ولسنة التطور فى الإنسان والكائنات جاء مرنا حكيما مسايراً القانون الطبيعى للحياة ، وعندما يتعمق الباحث فى دراسة الدعوة الاسلامية تتبين له هذه الروعة فى أوامره ، ونواهيه التى كانت تتفق ، وظروف الزمان . والمكان . وطبيعة العلاج للحوادث ، والأشياء

والإنسان جميعا وقد اسهبنا نحن فى شرح كل ذلك فى فصل ( الاسلام كتشريع للبشر ) .

والذى نحب أن نعرضه هنا بعد كل ماتقدم . هو هل ينبغى للمسلمين . وهم على حالتهم هذه أن يرجعوا إلى دينهم فى كل شئونهم الدنيويه . أو بعبارة أخرى هل يقيمون دولتهم على أسس دينية محضة كما كانت فى العصر الأول للإسلام ؟ جوابنا على ذلك بالنفى والإيجاب معا . بالنفى (أولا) لأن الإسلام وهو الدين الوحيد الذى احتفل بحياة الانسان الدنيوية . وراعى كل المراعاة حريته وسعادته . وحقه فى الحياة الكريمة لا يقبل مظاهر أو صوراً متحركه لاروح فيها بقدر ما يقبل تحقيق غاياته فى سهولة ويسر ووضوح . باى نظام من النظم ، ووسيلة من الوسائل (ثانيا) أن المعرفة الانسانية ، والتقدم البشرى حق مشاع لأبناء الإنسانية جميعاً فليس العيب أن ننقل عن أمة محاسنها ، وأن نتسلح ببواعث تقدمها ونهوضها ثم ننافسها فى مجالى الرقى والمدنية ، وإنما العيب هو أن نظل فى مكاننا لانريم عنه . جامدين متمسكين بدواعى الرجعية والجهالة (ثالثا) ماتسرب إلى علوم الإسلام من مبادىء هادمة وأشياء أحدثتها الفرق المتعددة . والأحزاب السياسية المتنافسة على الخلافة وأخذها المتأخرون على أنها من التراث الاسلامى وهو منها براء : لا تعطى المسلمين القوة والمضاء فى مسايرة ركب الانسانية . بل هى على العكس تقضى على مافى الاسلام من مرونة وقابلية تتفق مع التطور ، وتسير جنباً إلى جنب مع نضوج المعرفة البشرية فى الانسان . ولن نذهب بك بعيداً فالتاريخ شاهد صدق على مانقول . ونظرة يسيرة لتاريخ المسلمين تبين لك أن الفقه الاسلامى . وقف جامداً لا يتحرك منذ القرن الرابع الهجرى . وأن المسلمين كانوا مستغرقين فى نوم عميق حتى أوائل هذا القرن دون أن يوقظهم موقظ . أو ينذرهم منذر عما ينحدرون إليه من هاوية سحيقة . ولولا بعض مفكرى الاسلام مثل الاستاذ جمال الدين الافغانى ، والاستاذ الامام محمد عبده لما رأينا بواعث هذه

القوة ـ وإن لم تزل ضعيفة بعد ـ تدب شيئا فشيئا فى كيان المسلمين .

ثم نجيب بالايجاب وذلك (أولا) عندما يتم المسلمين القضاء على مايسود غالبتهم الساحقة من جهل وأمية وعندما يبلغون شوطا بعيداً فى معرفة العلوم الطبيعية والرياضية وعندما يأخذون بحظهم من جميع الثقافات المختلفة مستوعبين حقيقتها مدركين ما ترمى إليه دون أن تضمحل شخصيتهم أو تضعف روحهم من وراء ذلك كله. (ثانيا) عندما يتكون الوعى الدينى الحقيق الذى يتفق وما أنزل الله فى كتابه الكريم من فهم للإسلام كرسالة عالمية . وكدين عملى لايقف أمام المظاهر . وإنما يسعى إلى الحقائق . ولن يتأتى ذلك للمسلمين إلا إذا حرروا عقولهم . ونظروا إلى اعمال أسلافهم بشىء من التحفظ . والنقد . بدل أن ينظروا إلى ماصدر عنهم من أقوال وأعمال نظرة الاكبار . والتقديس (ثالثا) إذ استطاع علماء المسلمين وفقهاؤهم أن يتخطوا هذه الدائرة المقفلة التى يعيشون فيها بعيدين عن المجتمع الاسلامى غير مؤثرين فيه بشىء أو فاتحين أمامه مجالا لفهم الدين الفهم الصحيح . ولإدراك الإدراك البصير . بل بالعكس نراهم مشفقين بل فزعين من كل حركة تجديدية فى الدين . ومن كل ثورة حاسمة للقضاء على ماتراكم عليه من أختلاقات وأباطيل . طيلة قرون طويله خيم فيها الجهل والظلام على العالم الاسلامى

والسؤال الذى يدور بخلدنا الآن هو هل يمتلك المسلمون فى الوقت الحاضر العوامل والدوافع التى تدفعهم إلى الرقى . والنهوض ، وهل يكون نهوضهم هذا على أيدى أئمتهم من رجال الدين . أم على أيدى هذه الجماعات الإسلامية المتعددة. وما تبذله من نشاط دينى أم على أيدى عامل خارجى آخر ؟

أننى لن أشفق من الجواب على هذا السؤال لأننى أحب أن أعرف عيوبى قبل أن أعرف محاسنى ولأننى أحب أن أعى وأتنبه إلى مايعترينى من نقص قبل أن أغتر وأقنع بما يتراءى لى من قوة .

إن من يتعمق فى درس حالة الغالبية من الأمم الاسلامية الآن لايجد عنده الجواب المطمئن على أنها تملك كل الوسائل فى هذا الوقت . لتنهض ، وتحتل مكانتها الدولية كأعظم قوة مؤثرة فى سياسة العالم ، وموجهة له . وذلك لوجود هذه الأغلال التى يرسف فيها بعض أبناء البلاد العربية التى ما زالت تحكم حتى الآن حكما أو تقراطياً . ولا تصدق من يزعم لك أن هذا هو حكم الإسلام الصحيح .

إن من السهولة بمكان أن توجد الدوافع الحقيقية لرفعة شأن المجتمع الإسلامى وأخذه بحظ يذكر من الحضارة والمدنية . والقوة والحيوية . لو تدبر أولو الشأن أمرهم فى البلاد الاسلامية وقضوا على هذا التفاوت الطبقى الذى يسود العالم الاسلامى فى هذا العصر ليحققوا بذلك معنى العدالة الاجتماعية أو الاشتراكية الاسلامية . وليقضوا على المبادئ الهدامة وهى فى مهدها وقبل أن تجد لها تربة صالحة ، ثم إذا فتحوا الباب على مصراعيه لنشر الثقافة والتعليم . ومحاربة الجهل والأمية فى قوة وعنف . حينئذ يتكون عند المسلمين الوعى الدينى لفهم العقيدة الاسلامية على حقيقتها فلا أمل من هؤلاء الذين نسميهم فقهاءنا الدينيين فى بعث الاسلام من جديد فى قوته . وحيويته . وسموه لأنهم لا يتسلحون بما يوجبه هذا البعث من حرية عقلية . ومن ثقافة عميقة غير تقليدية . ومن نشاط دينى ملحوظ . ثم أخيراً من تضحية بالمنافع المادية فى سبيل الرأى والتطلع إلى تحقيق مثل عليا فى الحياة .

إن هذه العزلة . وهذا الجمود الذى أصبح شعار علمائنا الدينيين . لا ينذر بأن الاسلام سينهض على أيديهم إلا إذا تخلوا عما يسيطر عليهم من خمول وكسل ودواعى رجعية . وإلا إذا تحرروا مما تحيطهم به التقاليد . والعادات من تقديس للقديم . واشفاق من الجديد . ثم إننى عندما أنظر إلى نشاط الجمعيات الاسلامية . ومدى فهمها لحقيقة الدعوة الاسلامية . وطبيعة الأمور . وسنة

التطور فى الإنسان والكائنات . أشفق من هذا المجهود . وهذا الوقت الذى يضيع هباء منثوراً .

إن المتتبع لحركات هذه الجماعات الاسلامية يجد أنها تهدف إلى تحقيق غرض واحد وهو رجوع المسلمين إلى مبادىء دينهم . وهذا شىء نؤمن به جميعاً ، ونعتقد مخلصين أن العالم كله لا المسلمين وحدهم ـ وهو الذى أصبح كأسرة واحدة يتأثر بعضه ببعض ـ سيستنقذ نفسه مما هو غارق فيه من حيرة نفسية . ومن إفلاس فى حياته الروحية ـ فيرجع كأشد ما يكون إيماناً متمسكا بعقيدته الدينية من جديد ، ولكن لا ليستعير صورة أصلية مما كان عليه الدين فى عصوره الأولى ، ومما كان يصطنعه من وسائل لتحقيق مبادئه . وغاياته لأن ذلك لا يتفق وحكم التطور الذى يخضع له الدين . أو تخضع له وسائله . كما تخضع له الأشياء والكائنات جميعاً . ولن يتعب العالم فى البحث عن عقيدة تتفق وما بلغه من نضوج فى العقل وقوة فى الادراك لأن عقيدة الدين الاسلامى فى جوهرها ستأخذ عليه نفسه وعقله . ومداركه جميعاً .

إنى لأبتسم فى سخرية مريرة عند ما أرى أن من أهداف هذه الجماعات أن ترجع المرأة إلى عهد الحجاب . وأن تظل كما كانت ساذجة قاصرة أشبه ما تكون بعضو أشل فى المجتمع الاسلامى بدعوى أن ذلك يحفظ حصانتها . ويمنعها من أن تهوى أو تخدع إلى طريق الفساد . ثم أن تلغى هذه القوانين التشريعية الوضعية ليحل مكانها الفقه الاسلامى . كما أستنتجه . واجتهد فيه فقهاء المسلمين الأولين فى العصور الأولى للاسلام بالرغم من جموده . وعدم تطوره كل هذه القرون الطويلة من الزمان .. ! لا أيها السادة ! إنكم تعيشون فى برج من العاج . وإنكم بذلك لا تخدمون الاسلام لتفسيركم له بهذا المعنى الضيق العجيب الذى لا يدل على ما يمتاز به من مرونة ، وأنه أتى لتحقيق غايات لا للتمسك بوسائل ومظاهر وصور لا تغنى من الامر شيئاً . وكأنكم بذلك تعيشون فى واد .

العالم كله فى واد آخر . وكأنكم تقفون بينما يمر ركب الانسانية دون أ
ون أو تستيقظون .

إننا نؤمن أن نهوض المسلمين محقق لا ريب فيه سواء كان ذلك قريباً أ
عيداً . ولكننا نشك أن يكون نهوضهم هذا على أيدى هذه الجماعات ال
عيش فى مناقشات بيزنطية لاغير .

وإذا كنا نأمل فى هذه الجماعات خيراً للاسلام فهو أن نقترح عليهم أ
نشئوا المدارس المتعددة لتثقيف أبناء الشعب، وأن يقيموا المؤسسات الكبيرة لمحار
لفقر ، المرض والبطالة ، وأن يوجهوا نشاطهم إلى التبريز والمنافسة الشريفة
لمجال الاقتصادى والصناعى. ثم يعملون بكل ما فى طاقتهم لتحقيق العدالة الاجتماعي

لقد كنا نحمد لجماعة الإخوان المسلمين اتجاه نشاطها إلى هذه الميادين الثلا
ونحن نرجو من صميم قلوبنا بعد أن خرجت من هذه المحنة التى صهرتها صهر
ن تتجه بكليتها إلى هذه الميادين الثلاث أولا. لأننا لسنا فى حاجة الآن إلى شي
در حاجتنا إلى تكوين مجتمع إسلامى مثقف . قوى نظيف . عامل مفيد
ستقل حر . معتمد على ما تذخر به قلوب أبنائه . ونفوسهم من خصو
حيوية . حينئذ سنتحقق بأن فجر الإسلام قد أزف . وبأن مجد الإسلام
نهوض المسلمين أصبح حقيقة لا جدال فيها ؟

أول مارس سنة ١٩٥٠ م . ع . ف . ع

# فهرست الكتاب


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| لماذا وضعت هذا الكتاب؟ | ١ — ٢١ |

البيئة وأثرها فى الثورات الانقلابية — لماذا كانت توجه هذه الثورات دائماً ضد الدين — ثورة اليونان الفكرية القديمة — ثورة الشيوعية ضد القيصرية فى روسيا — ثورة الأتراك على الخلافة العثمانية فى تركيا — مدى مسئولية رجال الدين فى الشرق والغرب عن ذلك — الصوفية وتفسيرها لمعنى الزهد فى الحياة بما لا يتفق ونظرة الدين — لم يوضع هذا الكتاب الا للدفاع عن الدين وإظهار جوهره . وغاياته — إن المادية ليست كما يدعى بعض علماء الدين ورجال الصوفية من أنها لا تتفق مع الروحية فى شىء — أن الاسلام . ليس دين رهبنة وإنما هو دين عملى — أن كل ما دعا إليه من عبادات هو فى الواقع تغذية لحياة الانسان الدنيوية — أن هذا الكتاب وما يدعو إليه من محاربة البدع والاختلاقات فى الدين هو خير من يقف فى طريق هذه المبادىء الهدامة

| | |
|---|---|
| هل الدين لازم للبشر | ٢٢ — ٤٨ |

ماهية الدين — نظرية داروين والرد عليها — حالة الانسان البدائى — كيف نشأت العقيدة الدينية عنده — تطور الديانات — رأى العقاد ورد عليه — العقيدة من مقومات الانسان — لا يمكن لانسان أن يعيش بغير عقيدة — الملحد له عقيدة أيضاً ولكن من زاوية أخرى — أن الدين فى ذاته لم يقف فى طريق التقدم البشرى — رأى ( لجوى استيوارت ميل ) — رأى للاستاذ الفيلسوف جمال الدين الأفغانى — أن العقل وحده لا يكفى لمعرفة أسرار الكون — رأى للفيلسوف الانجليزى ( الدوس هكسلى ) . استشهاد بما يذهب إليه الأستاذ العقاد فى أن العقل لا يكفى لادراك الذات


obeikandl.com

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| الالهية ـ رأى للفيلسوف ( أجوست سباتييه ) من كتابه فلسفة الدين ـ آراء لغيره من الباحثين الاوربيين ـ رأى الاستاذ أحمد بك أمين ـ ماذا يتبأ الباحث للدين ـ . | |
| حالة الإنسانية قبل الاسلام | ٤٩ - ٦٩ |
| لقد كان تطور الديانات متفقا مع تطور الانسانية فى الوعى والادراك ـ ماذا كان عليه البشر قبل نزول الاسلام ـ البيئة العربية ـ بيئة الفرس والروم باعتبارهما الدولتين المسيطرتين على العالم فى ذلك الحين ـ التاريخ القديم للفرس والروم ـ ماذا كان نظامهما السياسى والاجتماعى ، والاقتصادى ـ سلطان المسيحية فى ذلك الوقت ـ التاريخ الاسود لمحاكم التفتيش حالة الجزيرة العربية قبيل الاسلام ـ ماذا صنع الاسلام بالعرب ـ مقارنة بين مبادىء الاسلام وغيره ـ الغايات التى جاء ليحققها الاسلام ، رأى للسير جول لابوم فى حالة العالم قبيل الرسالة المحمدية | |
| الاسلام بين الديانات | ٧٠ — ٩٨ |
| الاديان جميعها يجمعها رباط واحد ـ مراحل التطور البشرى ـ تاريخ الاديان المقارن ـ الذاتية الخاصة للديانة اليهودية ـ هل الديانة اليهودية أول ديانة نزلت بالتوحيد ـ من هم اليهود ، وما هى صفاتهم ـ كيف ظهرت المسيحية ـ خصائص الديانة المسيحية ـ مخالفة المسيحية لليهودية ـ لماذا اختصت الديانة المسيحية بالدعوة للروحانية وحدها ـ كيف تلونت المسيحية بلون جديد ـ تدخل « البروتستانت » للحد من سلطة رجال الدين المسيحيين ـ الاسلام دين عام ـ مقارنة الاسلام بالديانة اليهودية والمسيحية ـ خصائص الاسلام باعتباره دعوة عالمية ـ رأى لبعض المفكرين فى شخصية النبى عليه السلام ـ ما فى الاسلام من مرونة تتفق وتطور الزمن | |
| الاسلام كتشريع للبشر | ٩٩ - ١٣٦ |
| مصادر التشريع الاسلام ـ أهداف الاسلام ـ تقريبه بين الانسان وخالقه ـ دعوته إلى المساواة المطلقة ـ نزل بطريق التدريج مراعيا ظروف الزمان والمكان ـ نزل بطريق | |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| الاجماع ليترك مجالا لاجتهاد الانسان ـ جعل العبادات وسائل لا غايات ـ راعى حرية الفرد مع مصلحة المجموع ـ جوز المحظورات عند الضرورات ـ قرر إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما يتفق والعقل ـ حارب الكهنوتية والسلطة الدينية ـ جعل الاصل فى الاشياء الاباحة ـ جوز ترك الفروض إذا كان فى ادائها ضرر . | |
| لماذا تأخر المسلمون | ١٣٧ — ١٨٠ |
| أراء بعض المفكرين الاسلاميين فى سبب تأخر المسلمين ـ آراء بعض المفكرين الاوربيين فى ذلك ـ ليست آراءهم هذه مما أصاب الحق ـ الاسلام كدعوة عالمية يعتمد على أركان ثلاث ـ كيف تحققت هذه الاركان جميعها فى عهد النبى محافظة الخليفة الاول على هذه الاركان ـ شخصية الخليفة الثانى مدى أثرها فى الاسلام ـ تأريخ لعهد عمر ـ محافظته على هذه الاركان الثلاث ـ مقارنة بين كل من أبى بكر وعمر وعصريهما اجتهاد عمر وقوة شخصيته ونظره إلى بعيد ـ كيف تمت روح الاسلام فى العهدين السابقين ـ طبيعة عصر الخليفة الثالث ـ تخلى التوفيق الذى لازم الاسلام عنه فى هذا العصر ـ ظهور العصبية العربية ـ هل يبرر ذلك مقتل عمر بيد فارسية استعانة عثمان بأقاربه ـ ظلم الموالى فى الامصار ـ دفاع عن عثمان فى إيمانه وأخلاقه ـ الامويون ومقتل على ـ كيف استتبت الامر لهم ـ طبيعتهم السياسية ـ مدى قوة حرصهم على الدين ـ ما اصطنع فى عهدهم من مذهب الجبرية ـ كيف ذهبت دولتهم ـ عصر العباسيين ـ استعانتهم بالموالى ـ طبيعة دولتهم الكهنوتية ـ كيف اسلم العباسيون المسلمين إلى دور الانحلال . | |
| كيف ينهض المسلمون | ١٨١ — ١٩٥ |
| تأثر العالم بعضه ببعض ـ شيوع الثقافة وسرعة تداولها العوامل التى نهضت بأوربا ـ تقدم الاوربيين فى العلوم الصناعية والطبيعية ، هل هناك من خطر فى احتضان الثقافة الاوربية ـ بحث فى المذاهب الثقافية المعاصرة ـ خصومتها الشديدة للروحانيات ـ التشابه فى عوامل تأخر الاوربيين والمسلمين ـ على أى شىء ينهض المسلمون ـ الحركات الدينية المعاصرة | |

# كتب ظهرت للمؤلف

١ ـــ أيامى أو فلسفة الحياة .

٢ ـــ محاكمة الزمن أو طه حسين .

٣ ـــ مع عقلاء الإنس ومجانين الجن .

٤ ـــ لا أومن بالعقل .

٥ ـــ هل أفلست حضارة أوربا .

٦ ـــ البعث أو مذهب السلام .

obeikandl.com